



# الفخر

اعتزاز بالذات يعتمد إلى المبالغة والتّهويل

يعدُّ الفخرُ أحدَ أهمِّ فنونِ الشعرِ العربيِّ، يتغنّى فيه الشاعرُ عادةً بنفسه أو بقبيلته أو ببلده أو بعائلته، انطلاقاً من حبِّ الذاتِ كنزعةٍ إنسانيةٍ طبيعيّةٍ.

وعلى مدى تاريخِ الشعرِ العربيِّ، لم يكنِ الفخرُ هدفاً في حدِّ ذاته، ولكِنَّه كانَ وسيلةً لرسمِ صورةٍ عنِ النفسِ يخافُها الأعداءُ، فيتردّدون طويلاً قبلَ التعرُّضِ للشاعرِ أو قبيلته.

والفخرُ من أولِ فنونِ الأدبِ تأثيراً على فطرةِ الإنسانِ، ويكُونُ بتعدادِ الصفاتِ الكريمةِ لِمَنْ يَفْخَرُ وتحسينِ السّيِّئةِ منها، ونزاهٍ يربُطُ غالباً بالشجاعةِ، والكرمِ، والوفاءِ، والحلمِ، وعِراقةِ الأصلِ، وحمايةِ الجارِ والنزِيلِ، ومنعِ الحرِمِ. كما أنّ الفخرَ من نتاجِ العاطفةِ الجياشةِ الصادقةِ، والانفعالِ القويِّ، ومن هنا لا يلتزمُ الفخرُ بالحقائقِ التّاريخيّةِ، بل يعتمدُ إلى المبالغةِ والتّهويلِ، وإطلاقِ الخيالِ الخصبِ، وتنتطقُ فيه الألفاظُ والعباراتُ موافقةً له، مطابقةً مُقتضى حاله، مُشدّدةً بشدّتهِ.

وإلى جانبِ الفخرِ الذاتيِّ وُجدَ الفخرُ الاجتماعيُّ.. وفيه يتغنّى الشاعرُ بأجدادِ قومه، ويشيدُ بمنعتهم وعزّتهم، ويسجّلُ مفاخرهم مَبَاهِيًا بها.

ثمَّ جاءتِ رسالةُ الإسلامِ ترسّمُ للعربِ مثلاً عليّاً جديدةً في التّشريعِ وسائرِ نواحي حياتهم، وتوجّههم إلى الخيرِ، فجعلتْ باعثَ

ففي العَصْرِ الجاهليِّ، كانَ هناكَ الفخرُ الذاتيُّ، وفيه يَفْخَرُ الشاعرُ بنفسه، قاصراً فخره عليها، غيرَ مُلتفتٍ لسواها. وكانَ هذا النوعُ من الفخرِ كثيراً جداً، وقد نبتَ تلقائياً من نفوسِ

البُطولةِ لَيْسَ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ  
وَالإِغَارَةَ حَتَّى عَلَى الأَخِ، بَلْ هُوَ  
الجِهَادُ وَالقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ،  
وَفِي سَبِيلِ نَشْرِ دِينِهِ العَظِيمِ، فَمَنْ  
انْتَصَرَ فَرِحَ بالفَوْزِ، وَمَنْ اسْتُشْهِدَ  
فَازَ بِجَنّاتِ النّعِيمِ، وَلَهُ إِحْدَى  
الحُسْنَيْنِ.

وفي ذلك العَصْرِ دارَ هذا اللُّونُ  
حَوْلَ وَصْفِ تَعَبَةِ الجُيُوشِ  
وَطَرِيقَةِ زَحْفِهَا، وَوَصْفِ أَسْلِحَتِهَا  
وَخَيْلِهَا وَأَسَاطِيلِهَا، وَيُسَجَّلُ  
انْتِصاراتِها وهزيمَةُ عدُوّها.

وفي العَصْرِ الحَدِيثِ تنوّعتْ  
دَوَافِعُ الفخرِ، وَذَلِكَ تَبَعاً لِتَطَوُّرِ  
الحياةِ، فَبَعْدَ أَنْ كانَ الشّاعرُ يَفْتخِرُ  
بِفَرَسِهِ وَسَيْفِهِ وَكِرْمِهِ وَوَفائِهِ، أَصْبَحَ  
يَفْتخِرُ بوَطْنَتِهِ، خَاصَّةً وَأَنَّ العَصْرَ  
الحَدِيثِ شَهِدَ الكَثِيرَ مِنَ الثوراتِ،  
كَمَا ظَهَرَتْ مَقاومةُ المُستعمرِ  
الغاصِبِ والتّضحياتُ المُتلاحقةُ  
التي زلزلتْ أقدامَهُ وأجلتْهُ عَنِ  
الرُّبَابِ العربيِّ، لِذَلِكَ فَقدَ افْتخَرَ  
بَعْضُ الشّعراءِ بِمِثْلِهِمْ نَحْوَ الجِهَادِ  
وَبِائْتائِهِمْ إِلَى عُرُوبَتِهِمْ، فَضْلاً  
عَنِ الإِهْتِامِ بِالنّواحيِ الاجْتِماعيّةِ  
والإنسانيّةِ وَالعملِ الجَماعيِّ.

